المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الخامس - الإصدار الثالث والخمسون
تأريخ النشر: 20 مارس 2024 م

كتاب (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) لابن حماد (ت نحو 628هـ/1230م): دراسة نقدية

The book of Akhbar Al-Ubaid Kings and Their Biography by bin Hammad (d. about 628 AH / 1230 AD): Critical Study

إعداد: الباحث/ خالد عبدالله السعيد

طالب دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

Email: Khalidaltamaim2030@gmail.com

الملخص:

لم يعرف التاريخ الإسلامي لغطًا حول قيام دولة ما وسيرتها مثلما عرفته دولة بني عبيد، أو ما تُسمى بالدولة الفاطمية. ومن الأوائل الذين كتبوا عن الدولة العبيدية القاضي والمؤرخ والفقيه والأديب ابن حماد الصنهاجي المغربي (ت نحو 628هـ/1230م). ولقد ظل كتابه المُسمّى (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) مخطوطًا عدة قرون، ولم يبصر النور ويتداوله الناس إلا قبل أقل من خمسة وأربعين عامًا بعد تحقيقه ونشره من قبل الأستاذين الفاضلين: عبد الحليم عويس والتهامي مقرة – رحمهما الله -. إن الهدف من القيام بهذه الدراسة يتلخص في أمرين: أولهما: التعريف بكتاب ابن حماد، وبخاصة أن كثيرًا من الباحثين الأكاديميين والمهتمين بالتاريخ لم يسمعوا به، أو سمعوا به ولكن لم تتح لهم فرصة الاطلاع عليه، وثانيهما: تبصير القارئ وتوعيته بما يحويه الكتاب – مع الأسف - من أخطاء تاريخية كثيرة ونقص واضح في معلوماته. وعلى نفس نهج ابن حماد في تبويبه للكتاب بحسب ملوك بني عبيد البالغ عددهم أربعة عشر ملكًا، فإن الباحث سيقفو أثر المُصنّف في هذه الدراسة، وهو ما يمكّن من توضيح ما يكتنف ترجمة كل ملك منهم من مغالطات وثغرات. ولقد انتهت الدراسة إلى أن الكتاب - على مكانته التاريخية – لا يشتمل على ما يروي الغليل ويشفي العليل من أخبار بني عبيد. ولعل هذا يرجع إلى أن المصادر – المكتوبة والشفهية – التي اعتمد عليها مُصنّف الكتاب لم تكن كافية بالمرة لرصد أخبار ملوكهم. وعلى الرغم من أن المُصنّف لم يفصح عن موقفه تجاه الدولة العبيدية بصريح العبارة، إلا أن هذا لا يمنعنا من القول إنه كان يميل إليها بعض الميل، فتجده يؤكد نسبهم إلى بيت النبوة دون دليل، وفوق هذا لا يذكر شيئًا من مثالب ملوكها وقبائحهم، ويُشنّع بخصومها، كأبي يزيد الخارجي.

الكلمات المفتاحية: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، الدولة العبيدية، تاريخ، كتاب.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الخامس - الإصدار الثالث والخمسون
تأريخ النشر: 20 مارس 2024 م

The book of Akhbar Al-Ubaid Kings and Their Biography by bin Hammad (d. about 628 AH / 1230 AD): Critical Study

Abstract:

Islamic history has never known such confusion about the establishment of a state and its functioning as the state of the Banu Ubaid, or the so-called Fatimid state. One of the first to write about the Ubaid state was the judge, historian, jurist, and writer Ibn Hammad al-Sanhaji al-Maghribi (d. about 628 AH/1230 AD). His book, called (The News of the Kings of Banu Ubaid and Their Biography), remained in manuscript form for several centuries, and it did not see the light and be circulated by people until less than forty-five years ago after it was completed and published. The aim of conducting this study can be summed up in two things: first: introducing the book of Ibn Hammad, especially since many academic researchers and those interested in history have not heard of it, or heard of it but did not have the opportunity to read it, and second: enlightening the reader and making him aware of what the book contains - along with unfortunately, there are many historical errors and a clear lack of information. In the same approach as Ibn Hammad in his classification of the book according to the fourteen kings of Banu Ubaid, the researcher will follow the author's trace in this study, which will enable him to clarify the inaccuracies and gaps surrounding the translation of each of them. The study concluded that the book - despite its historical status - does not contain anything that satisfies the poor or cures the sick from the news of the Banu Ubaid. Perhaps this is due to the fact that the sources - written and oral - that the author relied on were not sufficient at all to monitor news of their kings. Although the author did not express his position towards the Ubaid state in clear terms, this does not prevent us from saying that he had some inclination toward it. You will find him confirming their lineage to the House of Prophethood without evidence. Moreover, he does not mention any of the faults and ugliness of its kings, and he slanders its opponents.

Keywords: bin Hammad, Akhbar Al-Ubaid Kings and Their Biography, Ubaid state, history, book.

1. المقدمة:

لم يعرف التاريخ الإسلامي لغطًا حول قيام دولة ما وسيرتها مثلما عرفته دولة بني عبيد، أو ما تُسمى بالدولة الفاطمية. لقد تسبّب هذا اللغط في انقسام المؤرخين المسلمين – في الماضي والحاضر - إلى فريقين: فريق – وهم الأكثرية - لا يُقرّ بصدق نسبة ملوك تلك الدولة إلى آل البيت، وعندهم من الأدلة ما يكفي للطعن فيهم والتشكيك في أصلهم، وفريق – وهم الأقلية - يقرّ بصدق دعواهم وسلامة انتمائهم إلى بيت النبوة، وعندهم من الحجج كذلك ما يستندون إليها. ومن الأوائل الذين كتبوا عن الدولة العبيدية القاضي والمؤرخ والفقيه والأديب ابن حماد الصنهاجي المغربي (ت نحو 628هـ/1230م). ولقد ظل كتابه المُسمّى (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) مخطوطًا عدة قرون، ولم يبصر النور ويتداوله الناس إلا قبل أقل من خمسة وأربعين عامًا بعد تحقيقه ونشره، وهو ما سنخصّص هذه الدراسة لتسليط بعض الضوء عليه.

1.1. أهداف الدراسة:

إن الهدف من القيام بهذه الدراسة يتلخص في أمرين:

1. التعريف بكتاب ابن حماد، وبخاصة أن كثيرًا من الباحثين الأكاديميين والمهتمين بالتاريخ لم يسمعوا به، أو سمعوا به ولكن لم تتح لهم فرصة الاطلاع عليه.
2. تبصير القارئ وتوعيته بما يحويه الكتاب – مع الأسف - من أخطاء تاريخية كثيرة ونقص واضح في معلوماته.

2.1. منهج الدراسة:

وعلى نفس نهج ابن حماد في تبويبه للكتاب بحسب ملوك بني عبيد البالغ عددهم أربعة عشر ملكًا، فإن الباحث سيقفو أثر المُصنّف في هذه الدراسة، وهو ما يمكّن من توضيح ما يكتنف ترجمة كل ملك منهم من مغالطات وثغرات. ومما يجمل ذكره، إن الدراسة لا تزمع إعادة كتابة تاريخ كل واحد من ملوك بني عبيد لما يترتب على ذلك من خروج على المقصود، ولكن حسبنا التعريف بكل واحد منهم على نحو مختصر لمن لا يعرفهم.

3.1. مصادر الدراسة:

ولقد اعتمدت الدراسة في نقدها للكتاب على جملة من المصادر التاريخية المعتبرة. ويأتي على رأس تلك المصادر كتب التاريخ، مثل: (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، و(اتعاظ الحنفا) للمقريزي، و(النجوم الزاهرة) لابن تغري بردي. واستعانت الدراسة بعدد من كتب التراجم في التعريف بملوك العبيديين وبعض الوزراء والقادة والخارجين على الدولة، مثل: (وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(عنوان الدّراية) للغبريني، و(أعلام النبلاء) للذهبي، و(الوافي بالوفيات) للصفدي. وعلاوة على ذلك؛ فقد احتاجت الدراسة في بعض الأحيان إلى الرجوع إلى كتب البلدانيين، مثل: (معجم البلدان) لياقوت الحموي.

أ. التعريف بابن حماد الصنهاجي:

اسمه أبو عبدالله محمد بن علي بن حماد[1] بن عيسى بن بكر الصنهاجي[2]،

(1) على خلاف أصحاب التراجم، سمّاه ابن الأبار "حمَادُوا". أنظر: ابن الأبار، أبا عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ/1260م)، **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط 3 (القاهرة – بيروت: دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م)، 187.

(2) الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله (ت 714هـ/1315م)، **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: عادل نويهض، ط 2 (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979م)، 218.

وصنهاجة هي إحدى أكبر قبائل البربر في بلاد المغرب، وأصل صاحبنا أبي عبدالله من قرية "حمزة" من حوز قلعة بني حماد[1] – العاصمة الأولى لدولة بني حماد[2] - في المغرب الأوسط، أو ما يُعرف في الوقت الحاضر بـــ "دولة الجزائر".

ولا تذكر أي من المصادر تاريخ مولده على وجه الدقة، وإن كان من الراجح أنه وُلد في سنة 548هـ/1150م، أي عقيب انقراض دولة بني حماد. ومهما يكن من أمر، فإن أبا عبدالله بن حماد نشأ وترعرع في قلعة بني حماد، وقرأ على شيوخ العلم في القلعة التي كانت في زمن دولة بني حماد محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء، ثم انتقل عنها إلى بجاية[3] لينهل من نمير علمائها[4]. ولقد أشار أبو العباس الغبريني - في ترجمته لابن حماد – إلى أنه رأى له "برنامجًا" ذكر فيه كل شيوخه ومقروءاته من الكتب التي بلغ عددها مائتين واثنين وعشرين كتابًا، مُسندة إلى مؤلفيها[5]. وضرب ابن حماد في كل العلوم والفنون بسهمه، فاشتغل بعلوم القرآن، والحديث، وعلم الأصول، والنحو، والأدب، والتاريخ، والرقائق، وغيرها من أنواع الفنون وأصناف العلوم[6].

وتصدّر أبو عبدالله بن حماد للقضاء في بلاد الأندلس والمغرب الأقصى[7]. ولأبي حماد تآليف، منها: كتاب (الإعلام بفوائد الأحكام)، و(شرح مقصورة ابن دريد)، و(النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بأخبار إفريقية وبجاية)، و(أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم)[8]. ومما يُؤسف له أن تصانيف أبي حماد لم يبق منها شيء خلا كتابه (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) الذي نحن بصدد الحديث عنه.

---

(1) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 218. قلعة بني حماد: مدينة عظيمة، قديمة أزلية، كثيرة الزروع، وهي في جبل عظيم، حصينة البنيان، منيعة الأسوار. وكان يُقال لها: مدينة أبي طويل، ثم سُميت بـــ "قلعة أبي حماد"؛ نسبةً إلى حماد بن بلكين بن زيري (أول أمراء دولة بني حماد). مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د. ت)، 167 – 170.

(2) دولة بني حماد: دولة قامت على أرض المغرب الأوسط، من سنة 1014/405م حتى سنة 547ه/1152م، وجملة أمراء هذه الدولة تسعة، وأولهم إمرة هو حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي (405 – 419هـ/1014 – 1028م)، وإليه تُنسب الدولة التي أقام قواعدها وحفظ كيانها، وأشهرهم صيتًا الناصر بن علناس بن حماد (454 – 481هـ/1062 – 1088م). وكانت قلعة بني حماد عاصمة ملكهم ومعقلهم الأعظم وحرزهم الأمنع، ثم تحولوا عنها إلى بجاية. وفي عهد آخر أمرائهم يحيى بن عبد العزيز بن المنتصر (515 – 547هـ/1121 – 1152م) دخل عبد المؤمن بن علي الكومي (524 – 558هـ/1130 – 1162م) بجاية، وأزال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلية. المراكشي، محيي الدين عبدالواحد بن علي التميمي (ت 647هـ/1250م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت)، 272 – 275؛ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 695ه/1295م)، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: محمد الكتاني وآخرين (بيروت – الدار البيضاء: دار الغرب الإسلامي – دار الثقافة، 1406هـ/1985م)، قسم الموحدين: 45 – 47؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الغرناطي (ت 776هـ/1374م)، **أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تحقيق: سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، 328 – 335؛ السلماني، عبدالله طه، **الدويلات الإسلامية في المغرب** (عمّان: دار الفكر، 1435هـ/2014م)، 250 – 286.

(3) بجاية: (بكسر الباء، وتخفيف الجيم): مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وكان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد – خامس أمراء بني حماد – في حدود سنة 457هـ/1065م، وسُميت بـــ "الناصرية"؛ نسبة إلى بانيها. وهي مفتقرة إلى جميع البلاد لا يخصها من المنافع شيء. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، 1: 403.

(4) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 218 – 219.

(5) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 219.

(6) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 219.

(7) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 219.

(8) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 220. وللمزيد في ذلك، أنظر: رشيدة، رافعي، "شخصية ابن حماد الصنهاجي 628هـ صاحب مخطوط أخبار ملوك بني عبيد"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، مج. 14، ع. 18 (مارس، 2013م)، 394.

وكان أبو عبدالله بن حماد أديبًا شاعرًا، إلا أننا لا نعرف له سوى القليل، وهذه بعض الأبيات التي نقلها لنا الصفدي في (الوافي بالوفيات):

أبا عبدالإله إليـــك أشـكو لواعج بين جانحتي تذكو
بَعُدتُ عن الديار وساكنيها وفرّق بينـنـــــا فَلك وفُلك
ولـم يَعدل لعمر الله عنـدي فراق أحبة مَـلِك ومُلْك[1]

وكانت وفاة ابن حماد في سنة 628هـ/1230م، وقيل في عشر الأربعين وستمائة، وقيل: غير ذلك، والتاريخ الأول هو الأرجح، والله أعلم. وكان عمره حين وافاه الأجل قد أناف على الثمانين[2]. وانفرد خير الدين الزركلي بالقول إن وفاته كانت في مدينة مراكش[3].

ومما يجمل ذكره، أن جل اعتمادنا في الحديث عن أبي حماد – كما ترى - كان على كتاب (عنوان الدّراية) لأبي العباس الغبريني؛ لأنه كان من أوائل الذين ترجموا له، وكل كتب التراجم اللاحقة، مثل: كتاب (الوافي بالوفيات) لصلاح الدين الصفدي، و(فهرس الفهارس والأثبات) لعبد الحي الكتاني، و(شجرة النور الزكية في طبقات المالكية) لمحمد بن مخلوف، وغيرها قد اكتفت بالنقل عن الغبريني، ولم تضف إليه شيئًا ذا بال.

ب. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم: نظرة عامة:

يقع الكتاب الصادر سنة 1401هـ/1981م، عن دار الصحوة بالقاهرة، في مائة وأربع عشرة صفحة. والكتاب هو في الأصل مخطوط حققه كل من الدكتور المصري عبد الحليم عويس والدكتور التونسي التهامي نقرة – رحمهما الله – وعلّقا عليه. ولقد صدّرَ المحققان الكتاب بمقدمة طويلة تحدثا فيها عن صاحب المخطوط ابن حماد، وأشار إلى جهودهما المباركة في تحقيق المخطوط، واستعرضا - بشيء من التفصيل – مختلف الآراء التي أُثيرت في الماضي والحاضر حول صحة نسب بني عبيد، ثم قدّما رأيهما القائم على رد ادعاء العبيديين وإنكار نسبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ بناءً على جملة من الحقائق الملجمة والحجج المفحمة، التي لا نجد داعيًا كبيرًا لبسطها في هذا الموضع، وبخاصة أن الكتاب متاح مجانًا – لمن أراد الرجوع إليه من القرّاء – على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت".

وأما فيما يتصل بالمخطوط؛ فإنه من الممكن أن نخرج بعدد لا بأس به من الملاحظات العامة، وإليك أبرز ما فيها:

- أشار ابن حماد في مقدمة مُصنّفه القصيرة للغاية إلى أنه اعتمد في كتابة أخبار ملوك بني عبيد على مصدرين اثنين: إما أن تكون أخبارًا التقطها من مفرقات التواليف، وإما أن تكون أخبارًا سمعها من رجال ثقات.
- قسّم ابن حماد كتابه إلى أربعة عشر بابًا؛ بحسب عدد ملوك بني عبيد. وتفاوتت تلك الأبواب في طولها تفاوتًا عجيبًا، فأطولها جاء في أربع وعشرين صفحة، وأقصرها في سطر واحد، فتأمل!

(1) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م)، 4: 114.
(2) الغبريني، **عنوان الدّراية**، 220.
(3) الزركلي، خير الدين، **الإعلام**، ط 15 (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، 6: 280.

- تدور رحى الكتاب حول أمور السياسة والحرب، ولا مكان للأمور الاقتصادية أو الاجتماعية أو العلمية في أي من صفحات المخطوط.
- خصَّ ابن حماد أخبار بني عبيد إبان إقامتهم في بلاد المغرب بعناية أكبر وصفحات أكثر على الرغم من أن مدة وجودهم في المغرب كانت أقصر من مدة وجودهم في مصر، وكذلك عدة ملوكهم في المغرب أقل بكثير من عددهم في مصر.
- أهمل ابن حماد أحداثًا جسامًا وأخبارًا عظامًا لا تجد أحدًا من مؤرخي الدولة العبيدية – قديمًا أو حديثًا – إلا وقد قف عندها وتحدث عنها، واستعاض عنها بأخبار ليست بذاك الشيء، كأن يسرف في وصف معارك لا فائدة من التفصيل فيها، أو أن يأتي بخطبة كاملة لا داعي من الإتيان بها بالكامل.
- على الرغم من كونه شيخ من شيوخ المالكية، إلا أن أبا حماد أظهر بعض الميل إلى دولة بني عبيد، فهو لا يذكر طرفًا من مثالبهم، ولا يعترض على بعض من أفعالهم، ولا يفند شيئًا من أقوالهم على ما فيها من مخالفة للدين وادعاء للغيب.
- إن مما يدعو إلى العجب أن تجد ابن حماد قد اتخذ لكتابه عنوانًا لا يتفق مع ما ظهر منه من الميل إلى العبيديين؛ فهو لم يصفهم بالأئمة – كما يزعمون – بل وصفهم بالملوك على ما تحمله الكلمة من معاني الاستبداد والطغيان، ولم يُسمّهم الفاطميين – كما يدّعون – بل سمّاهم بني عبيد على ما تحمله الكلمة من معاني التصغير لهم والانتقاص منهم ونفي نسبتهم إلى فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -.

ج: 1. عبيد الله المهدي (297 – 322هـ/910 – 934م)[1]:

استهل ابن حماد أخبار عبيد الله المهدي - أول ملوك بني عبيد - ببيان أن الناس في نسبه منقسمون إلى فريقين: **"فمن مُسَلّمين ما ادعاه ومُقرّين بما حكاه، ومن دافعين ومانعين ما انتحله، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله**[2]". نعم. هكذا كان ولا زال حال الناس مع عبيد الله هذا منذ أن نجم أمره وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن ماذا عن ابن حماد نفسه؟ إلى أي من الفريقين يميل؟ يقول في نفس الموضع من الكتاب: **"فالذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، والذي ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي به**[3]". أليس من العجب أن يضرب ابن حماد بأقوال المنكرين لنسب عبيد الله الشيعي عرض الحائط؛ بدعوى أنهم لا يملكون دليلًا على صحة أقوالهم في الوقت الذي لا يجد غضاضة في قبول قول المهدي دون أن يطلب منه برهانًا على صدق ادعائه؟!

(1) عبيد الله المهدي: قيل إن اسمه: عبيد الله بن الحسن بن علي من نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: هو علي بن الحسين بن أحمد، وقيل: اسمه سعيد، ولقبه عبيد الله، وقيل غير ذلك، وأكثر المحققين ينكرون دعواه. وعبيد الله هذا هو أول ملوك العبيديين في بلاد المغرب، وكان داعيته أبو عبدالله الشيعي هو من مهّدَ له الأمر، فلما استتب الأمر لعبيد الله قتل أبا عبدالله الشيعي، وقتل أخ أبي عبدالله، وبنى المهدية بإفريقية، وبنى سور تونس، وجدّدَ مواضع فيها. والمهدي متهم عند كثير من المؤرخين المسلمين بأنه كان زنديقاً خبيثاً، وينسبون إليه قتل جملة من الفقهاء والصلحاء في بلاد المغرب. ولقد دام ملكه ربع قرن، وكانت وفاته في سنة 322هـ/934م بالمهدية. الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، رتّبه واعتنى به: حسّان عبد المنان (عمّان - الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م)، 3968 – 3970؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 19: 241 – 243. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت 874ه/1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1992م

(2) ابن حماد، أبو عبدالله محمد بن علي (ت نحو628هـ/1230م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس (القاهرة: دار الصحوة، 1401هـ/1981م)، 35.

(3) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 35.

إن من حق ابن حماد أن يُؤمن بما زعمه بنو عبيد، كما آمن به بعض المؤرخين الثقات، مثل: ابن الأثير في (الكامل في التاريخ)[1]، أو ابن خلدون في (العبر)[2]، أو المقريزي في (اتعاظ الحنفا)[3]، ولكن ما يدعو للأسف أن ابن حماد لم يأتِ لنا بدليل يُعضّد به رأيه ويقوي به ظنه. أما قوله بأن الطاعنين في نسب العبيديين لا يملكون برهانًا على ما يزعمون، فهذا غير صحيح البتة؛ إذ إن أكثر المؤرخين لديهم من الحجج النقلية والعقلية ما يكفي للتشكيك فيهم والظن بهم، ودونك ما جاء – مثلًا لا حصرًا – عند ابن النديم في (الفهرست)[4]، أو ابن ظافر الأزدي في (أخبار الدول المنقطعة)[5]، أو ابن خلكان في (وفيات الأعيان)[6]، أو ابن عذاري في (البيان المغرب)[7]، أو الذهبي في (أعلام النبلاء)[8]، أو الصفدي في (الوافي بالوفيات)[9].

وإذا ما أعرضنا عن نسبهم صفحًا، وطوينا دونه كشحًا، فإن أفعال بني عبيد – كما أشار المحققان إلى كتاب أبي حماد – من انتحالهم للبدع، ونشرهم للخرافات، وسفكهم للدماء، وتنكيلهم بالعلماء، وسبهم للصحابة، وتمكينهم لليهود والنصارى، لا تدل لا من قريب ولا من بعيد على انتسابهم إلى الدوحة النبوية الشريفة[10].

ومن الأمور التي لا يستسيغها عقل، ولا يقرها منطق، ما نقله إلينا ابن حماد عن عبيد الله الشيعي من أنه لما فرغ من بناء مدينة المهدية[11]، رمى بسهم من باب المدينة إلى موضع المصلى، وقال: "**إلى هنا يبلغ صاحب الحمار**[12]"، ويعني بصاحب الحمار: أبا يزيد مخلد بن كيداد الإباضي[13] الخارج على بني عبيد في أيام أبي القاسم القائم بن عبيد الله[14].

(1) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ/1233م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، 2012م)، 6: 577 – 583.

(2) ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ/1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون**، اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1434هـ/2013م)، 1: 1071 – 1072.

(3) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ/1442م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدين الشيّال، ط 2 (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1416هـ/1996م)، 1: 22 – 34.

(4) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 384هـ/994م)، **الفهرست**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1430هـ/2009م)، 1: 666 – 671.

(5) ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي (ت 613هـ/1216م)، **أخبار الدول المنقطعة**، تحقيق: علي عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2001م)، 89 – 92.

(6) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1397هـ/1977م)، 3: 117 – 119.

(7) ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 158 – 159.

(8) الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3968 – 3970.

(9) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 19: 241 – 243.

(10) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 23 – 28.

(11) المهدية: (بالفتح ثم السكون): مدينة في إفريقية، وهي جزيرة متصلة بالبر، كهيئة كف متصلة بزند، انتقل إليها عبيد الله المهدي سنة 308هـ/921م، بعد أن حصّنها بسور محكم، وأبواب حديد صلت، وجعل في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار، ولها بابان بأربعة مصاريع، وبها ثلاثمائة وستون موجلًا، أو صهريجًا، والماء يُجلب إليها من قرية بالقرب منها. الحموي، **معجم البلدان**، 5: 265 – 268.

(12) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 42.

(13) أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي: سيأتي التعريف به في موضعه

(14) أبو القاسم القائم بن عبيد الله المهدي: سيأتي التعريف به كذلك في موضعه.

ويضيف ابن حماد، وكأني به قد صدّقَ تلك النبوءة: "**وكذلك كان الأمر، بلغ [أبو يزيد] إلى المصلى، ثم انهزم ولم يزل منهزمًا من جهة إلى جهة، والناس كلهم له حرب إلى أن نقض وانقرض**..."[1].

يا تُرى ماذا أراد ابن حماد من إيراد هذا الخبر؟ هل أراد بذلك أن يُصوّر لنا أن الله عزّ وجل قد كشف لعبيد الله الشيعي سجف الغيب؟! يقول ابن عذاري في هذا الأمر إن أيمان قبيلة كتامة البربرية أول دخولهم إفريقية كان: "**وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة**[2]". ويضيف ابن عذاري أن البعض كتبوا بيتين من الشعر، ثم تلطّفوا في وصولها إلى عبيد الله من حيث لا يعلم، وهي:

الجـور قـد رضينا لا الكـفر والحماقة

يـا مدّعي الغيوب من كاتب البطاقة؟[3]

وعلى ما يظهر لنا، فإن ابن حماد لم يضمّ هذا الخبر، أو حتى مثله، إلى كتابه؛ لأنه لا يوافق هواه، اللهم إن كان لم يقع عليه فيما لديه من المُصنّفات، أو سمعه من الرجال الثقات.

وتنبّه المحققان – رحمهما الله – إلى بعض المخالفات الشرعية في ترجمة ابن حماد لأول ملوك بني عبيد وعلّقا عليها. ومن الأمثلة على ذلك، ما قاله المؤلف من أن القمر قد كُسِف كسوفًا كليًا[4] في الليلة التي مات فيها عبيد الله! بالطبع نحن لا ننكر أن ابن حماد كان مجرد جامع لأخبار العبيديين، ولكن لا يعني جمعه للأخبار ألا ينقيها مما علق بها من تجاوزات دينية لا يساورنا أدنى شك في أنه، أي: ابن حماد كان عارفًا بها ومدركًا لخطورتها، وكيف لا يدركها وهو رأس من رؤوس المالكية في بلاد المغرب!

ومن الأخطاء الطريفة التي وردت في ترجمة عبيد الله المهدي أنه استقر بمدينة المهدية سنة 38ه[5]، وهذا خطأ بيّن، والصواب أنها سنة 308هـ، وعلى ما يبدو أن من قام بنسخ المخطوط قد سقط منه الصفر سهوًا. والغريب أن المحققين قالا - بعد إشارتهما إلى الخطأ – إن الشيعي استقر بالمهدية سنة 298هـ، وهذا خطأ أيضًا؛ إذ إن الشروع في بناء المهدية لم يحدث إلا في سنة 300هـ/912 – 913م، وقيل: سنة 303هـ/916م، ولم ينتقل إليها بأهله وأمواله وذخائره وعساكره إلا في سنة 308هـ/921م[6].

ولما تحدث ابن حماد عن الحملتين الفاشلتين التي سيّرهما عبيد الله الشيعي إلى مصر في سنتي 301هـ/914م و306هـ/919م ذكر أن قوام الجيش في حملته الثانية كان خمسمائة ألف مقاتل، وإنه لم يسلم منه غير خمسة عشر ألفًا بعد أن أفناهم القتل والجوع

(1) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 42.

(2) ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 160. رقادة: مدينة بإفريقية، بينها وبين القيروان أربعة أيام، وأكثرها بساتين، ولم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا أعدل نسيم ولا أرق تربة منها. بناها الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (261 – 289هـ/875 – 902م)، وشيّدَ بها قصورًا عجيبة وجامعًا، وعُمرت الأسواق والحمامات والفنادق، ولم تزل دار مُلك الأمراء الأغالبة إلى أن ثلّ العبيديون عرشهم، فسكنها عبيد الله المهدي في أول أمره، ثم تحول عنها سنة 308هـ/921م إلى مدينة المهدية المذكورة آنفًا. الحموي، **معجم البلدان**، 3: 63 – 64.

(3) ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 160.

(4) أشار المحققان إلى أن الكسوف يُقال للشمس، والخسوف يُقال للقمر، وإذا اجتمع الشمس والقمر فإنه يُقال الخسوف. وأضافا القول بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يُخسفان لموت أحد ولا لحياته، كما نبّهنا على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، هامش (3)، 49.

(5) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 43.

(6) الحموي، **معجم البلدان**، 5: 267؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 184.

والوباء[1]! وعندما نظرت فيما تيسر لي من المصادر والمراجع لم أجد من يشايع ابن حماد على هذا[2]. ولو وُجد من يقول بأن الحملة كان تعدادها نصف مليون جندي، لكان لزامًا على ابن حماد أن يكذّب قائله؛ إذ إن جيشًا بهذا العدد كان باستطاعته أن يأكل الأخضر واليابس وليس مصر فحسب!

ج: 2. القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي (322 – 334ه/934 – 946م)[3]:

ذكر ابن حماد في مستهل كلامه على أبي القاسم بن عبيد الله أنه وُلد بسلمية[4] من بلاد الشام سنة 308هـ/921م[5]، وهذا غير صحيح بالمرة؛ لأن مولده كان – كما جاء عند الذهبي – في سنة 278هـ/891م[6]. والعجيب أن ابن حماد كتب مباشرة عقب ذكره تاريخ مولده: "**وبويع يوم مات أبوه عبيد الله وعمره إذ ذاك اثنتان وأربعون سنة**[7]"، وهو ما يقتضي أن تكون ولادته في سنة 280هـ/893م أو ما دون ذلك.

وخرج في سنة 233هـ/944م أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي[8] على القائم بن عبيد الله؛ ناقمًا على أفعال الشيعة وما جرى منهم من إشهار للبدع، وسبّ للصحابة، وقتل للعلماء والصلحاء، وتسلط على أهل السّنة، ، فاجتمع حوله خلق كثير،

(1) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 45.
(2) أنظر مثلًا: الكندي، أبا عمر محمد بن سعد (ت 350هـ/961م)، **ولاة مصر**، تحقيق: حسين نصار (بيروت: دار صادر، د. ت)، 292 – 295؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 6: 659؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 171 – 172؛ طقوش، محمد سهيل، **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام**، ط 2 (بيروت: دار النفائس، 1428هـ/2007م)، 107 – 109.
(3) أبو القاسم القائم بأمر الله: محمد بن عبيد الله، وقيل: عبد الرحمن بن عبيد الله، ويُكنى: أبا القاسم، وقيل: أبو العباس، وُلد بسلمية في بلاد الشام سنة 278هـ/891م، دخل المغرب مع أبيه، وبُويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 322هـ/934م، وقام بسيرته، وأظهر عليه من الحزن ما لا يُعهد لمثله. وصفه الذهبي بأنه كان مهيبًا شجاعًا، قليل الخير، فاسد العقيدة. وفي أواخر أيامه خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي، وجرت بينهما ملاحم، وحصره أبو يزيد بالمهدية، وضيّق عليه، واستولى على معظم بلاده. توفي القائم وهو محصور، وله من العمر خمس وخمسون سنة، وكانت مدة حكمه اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر، وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل المُلقب بالمنصور بالله، وكتم موته إلى أول سنة 336هـ/947م. الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت 458هـ/1067م)، **تاريخ الأنطاكي المعروف بصِلة تاريخ أوتيخا**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (طرابلس: جروس برس، 1990م)، 56؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 162؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 208؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت 733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبد المجيد ترحيني (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م)، 28: 71؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3725 – 3726؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1: 74.
(4) سلمية: (بفتح أوله وثانيه، وسكون الميم، وقيل: بكسر الميم): بليدة من أعمال حماة السورية، بينهما مسيرة يومين، وكانت تُعد من أعمال حمص. اتخذها الأمير العباسي صالح بن علي في أول خلافة بني العباس منزلاً وبنى هو وولده فيها الأبنية. الحموي، **معجم البلدان**، 3: 272 – 273.
(5) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 53.
(6) الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3725.
(7) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 53.
(8) أبو يزيد مخلد بن كيداد الإباضي: ثائر، خارجي، من زعماء الإباضية، بربري الأصل، كان معلمًا للصبيان بمدينة تاهرت – حاضرة الدولة الرستمية -، وكان يظهر الزهد، ولا يركب غير حمار، ولا يلبس غير خشين الصوف. ولما مات عبيد الله المهدي سنة 322هـ/934م خرج أبو يزيد بناحية من جبل أوراس، ويلقب بشيخ المؤمنين، والتف حوله خلق عظيم، فسار بهم إلى محاربة القائم بن عبيد الله، فغلبه في أكثر من موضع، واستولى على رقادة، والقيروان، وسوسة، وغيرها، ثم زحف إلى المهدية فطوقها، ومات القائم وهو بها محصور. ثم توالت على أبي يزيد الهزائم بعد انفضاض بعض البربر عنه، وجدَّ المنصور إسماعيل بن القائم في ملاحقته، ثم أمسك به وقد أثخنته الجراح، فقتله، ثم أمر بسلخه، وحُشي جلده تبنًا، واتخذ له قفصًا، فأُدخل فيه مع قردين يلاعبانه. وكانت وفاة أبي يزيد في المحرم سنة 336هـ/947م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1: 235؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 216 – 220؛ ابن خلدون، **العبر**، 1: 1081؛ الزركلي، **الإعلام**، 7: 194.

فسار بهم إلى حرب القائم، فكسره، ودوّخ عساكره، واستولى على معظم بلاده حتى لم يبق للقائم سوى اليسير، ونزل بالمهدية وأناخ عليها، ومات القائم وهو محصور مقهور[1].

وحمل ابن حماد على أبي يزيد، فكتب فيه وفي من خرج معه: "... **ويستبيح نساء المسلمين فيمن خالفه، ويسفك الدماء، وكان أصحابه البربر يقتلون كل من ظفروا به من الناس كائنًا من كان غبنًا وعبنًا، خاصة من خرج من المهدية عند حصارهم إياها فرارًا من الجوع والحصار، ويشقون بطونهم أحيانًا فتشًا على المال وتوهمًا أنهم ابتلعوه، ويشقون بطون الحوامل...**[2]".

إن هذه الرواية التي تصوّر أبا يزيد أنه كان قتّالًا سفّاكًا للدماء الحرام نجد ما يشبهها عند ابن الأثير[3]، وابن خلدون[4]، والمقريزي[5]، ولعل القارئ الكريم يذكر أن هؤلاء المؤرخين هم من أقرّوا بصحة نسب العبيديين! وعلى ما يبدو للباحث، فإن هذه الرواية قد نسج خيوطها أتباع الدولة العبيدية، ثم تلقفها عنهم عدد من مؤرخي السّنة دون تمحيص وتفحيص. ولو كان الله قد كتب لأبي يزيد الخارجي أن يستأصل شأفة العبيديين ويمحو معالم دولتهم لما وجدت من يحط عليه ويطعن فيه على هذا النحو المقزز، ولكن هذا قدر كل من دارت عليه الدوائر وصار القلم في يد خصمه!

وعلى الرغم مما جرى لسيرة أبي يزيد من تشويه متعمد وتضليل مفتعل؛ فقد وُجد من ينصفه، مثل: قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني، وهو أقرب إلى زمن أبي يزيد من ابن الأثير ومن جاءوا بعده، وهو ما يعطي رأيه أهمية كبيرة. يقول قاضي القضاة في كتابه (تثبيت دلائل النبوة): "**ولكثرة ما كان من جور هذا [القائم بأمر الله] وقتله للناس واستصفائه الأموال، اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب على رجل من الإباضية يقال له: أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه، وكان شيخًا كبيرًا ضعيفًا لا يمكنه لضعفه أن يستمسك على فرس. فكان يركب حمارا، وكان له وزير يستشيره أعمى، فأنفذ إليه هذا الذي تسّمى بالقائم بن المهدي بعسكر فكسره وردّه، وتسامع به الناس، وأنه ينكر المنكر، فاجتمعوا إليه وأتوه، وسار من الجبل إلى الأمصار، ولقيته العساكر فكسرها كلها، ودخل إفريقية، وأزال الظلم والمكوس، وملك كل ما كان في أيدي هؤلاء القرامطة**[6] **من أرض المغرب إلا المهدية...**[7]".

---

(1) للمزيد من المعلومات عن الملاحم التي جرت بين أبي يزيد والقائم، أنظر مثلاً: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 136 – 145؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1:216 – 218؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3725 – 3726؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1: 75 – 82؛ طقوش، **تاريخ الفاطميين**، 120 – 126.

(2) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 56.

(3) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 138 - 140.

(4) ابن خلدون، **العبر**، 1: 1079.

(5) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1: 75 – 77.

(6) درج بعض المؤرخين على إطلاق اسم (القرامطة) على الإسماعيلية، وهذا إطلاق غير دقيق؛ فالقرامطة فرع من فروع الإسماعيلية، وينتسبون إلى رجل اسمه حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط. وكان سواد العراق هو منطلق دعوتهم، ثم استطار شرهم وامتد سلطانهم؛ فشمل البحرين ووسط جزيرة العرب واليمن وأجزاء من الشام، واشتد الخطب بهم، وعظم الكرب منهم زهاء قرنين من الزمان. والقرامطة هم من اعترضوا حجّاج بيت الله، فقتلوا الرجال ونهبوا الأموال وسبوا النساء، وهم من دخلوا بخيولهم وأسلحتهم مكة في أواخر سنة 317ه/930م، فقتلوا الحجاج الآمنين قتلاً ذريعاً، وطرحوا القتلى في بئر زمزم، واقتلعوا الحجر الأسود وحملوه إلى ديارهم فلبث عندهم أكثر من عشرين سنة ثم ردوه. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط 2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م)، 12: 287 – 300؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 6: 461 – 466؛ الخطيب، محمد أحمد، **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: عقائدها وحكم الإسلام فيها**، ط 2 (عمّان: مكتبة الأقصى، 1406هـ/1986م)، 135 وما بعدها.

(7) عبد الجبار، أبو الحسن بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت 415هـ/1025م)، **تثبيت دلائل النبوة**، تحقيق: عبد الكريم عثمان (بيروت: دار العربية، د.ت)، 2: 602.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الخامس - الإصدار الثالث والخمسون
تأريخ النشر: 20 مارس 2024 م

وعلاوة على ما سلف، فإن علماء المغرب وعبّادها - على ما بينهم وبين أبي يزيد الخارجي من اختلاف المذهب - مالوا إليه ونصروه في حربه على العبيديين لمّا استقر عندهم من كفر هؤلاء القوم الذي لا حيلة فيه. يقول الذهبي في (أعلام النبلاء) في ترجمته للقائم بن عبيد الله: **"وتسارع الفقهاء والعباد في أهبة كاملة بالطبول والبنود. وخطبهم في الجمعة أحمد بن أبي الوليد، وحرضهم. وقال: جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله، وغيّر أحكام الله، وسب نبيه وأصحاب نبيه. فبكى الناس بكاءً شديدًا. وقال: اللهم إن هذا القرمطي الكافر المعروف بابن عبيد الله، المدعي الربوبية، جاحد لنعمتك، كافر بربوبيتك، طاعن على رسلك، مُكذّب بمحمد نبيك، سافك للدماء، فالعنه لعنًا وبيلًا، وأخزه خزيًا طويلًا، واغضب عليه بكرةً وأصيلًا[1]".**

إن رواية الذهبي التي أشرنا إليها للتو، وروايات أُخر أعرضنا عن ذكرها[2]؛ خوف الملالة وكراهة الإطالة، تدفعنا إلى الشك فيما نُسب إلى أبي يزيد من تخريب للبلاد، واستباحة للأعراض، وقتل للأطفال، وسلب للأموال، وغيرها من قبائح لا يفعلها من كان في قلبه ذرة من إيمان. ولو كان أبو يزيد كما صوّره لنا ابن حماد وغيره من المؤرخين، لما تسارع علماء السّنة وصلحاؤها إلى الانضواء تحت رايته. ثم هل لنا أن نُصدّق أن من خرج نصرة لدين الله، ومحبة لرسوله العظيم، وغيرة على صحبه الكرام قد انغمس في وحل تلك الأفعال الشنيعة التي لم يقترفها التتار؟!

ج: 3. المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد (334 – 341هـ/946 – 953م)[3]:

خصَّ مؤرخنا ابن حماد ثالث ملوك بني عبيد بترجمة طويلة[4] تزيد صفحاتها على تراجم بقية ملوكهم العشرة في مصر! فما الذي وجده ابن حماد في أخبار المنصور إسماعيل الذي لا تتجاوز مدة ملكه سبع سنين وبضعة أيام ليفرد له ترجمة تربو في عدد صفحاتها أخبار نسله من الملوك الذين ونزلوا مصر وحكموها قرنين من الزمان؟ الحق أنه ليس في سيرة المنصور ما يستحق الذكر سوى دحره ثورة أبي يزيد الخارجي وحفظه ملك الدولة العبيدية بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الزوال من جهة، وبنائه مدينة المنصورية من جهة أخرى. ولعلنا لا نجانب الصواب لو قلنا إن ابن حماد قد أهدر صفحات كثيرة في تتبع معارك المنصور وأبي يزيد دون طائل يُذكر من التفصيل فيها؛ مخالفًا بذلك مسلكه العام الذي غلب عليه الاختصار.

ووضع ابن حماد بين أيدينا صورًا غاية في الشناعة والبشاعة لأساليب المنصور في التنكيل بأعدائه والانتقام منهم، ودونك هذين النموذجين. جيء إليه مرة بغلام أمرد قيل إنه زعم أنه الإمام القائم بالحق ومعه أربعة أنفار آمنوا بدعوته، فأمر المنصور بسلخ الدعي حيًا، ثم حشا جلده قطنًا، وجعله في تابوت، فكان يصلبه في كل موضع ينزل به، وكذلك كان يفعل بأمثاله حتى لقبوه بـ "السلّاخ"، وقطع أيدي أتباعه وأرجلهم وصلبهم[5]. وبنى المنصور تنورًا كبيرًا، وأضرمه نارً وعلّق عليه بكرة، فإذا أخذ أحدًا من البربر من أصحاب أبي يزيد علّقه برجليه إلى البكرة، ثم أماله في التنور إلى موضع يناله حر التنور فيه، فإذا أشرف الرجل

(1) الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3726.
(2) الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3726.
(3) المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله: يُكنى بأبي طاهر، ومولده في سنة 303هـ/914م، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين، وتولى الأمر بعد هلاك والده القائم في حصار أبي يزيد الخارجي للمهدية وسِنّه آنذاك اثنان وثلاثون سنة، وأخفى المنصور موت أبيه، وصابر الحصار حتى رجع أبو يزيد عن المهدية، ثم والى المنصور على عدوه الهزائم، إلى أن أسره في أول 336هـ/947م، فمات أبو يزيد من جراح به. وبنى المنصور مدينة صبرة بعد فراغه من حرب أبي يزيد، وسمّاها المنصورية، وانتقل إليها. وُصِف المنصور بأنه كان شجاعًا رابط الجأش، بليغًا يرتجل الخطبة، حاد الذهن، حاضر الجواب، بعيد الغور. وتوفي في سنة 341هـ/953م بعد علة اعترته، وكانت مدة ملكه سبع سنين، وله من الأولاد الذكور خمسة ومن البنات مثل ذلك. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1: 234 – 236؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 218 – 219؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1: 88 – 92.
(4) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 59 – 82.
(5) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 65 – 66.

المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الخامس - الإصدار الثالث والخمسون
تأريخ النشر: 20 مارس 2024 م

على الموت روّحَ عنه، فإذا رجعت إليه نفسه أعاد الكرّة إلى أن تزهق نفس ضحيته[1]. ولقد حقَّ لمحققي الكتاب أن يصفا مثل تلك الأفعال الوحشية بالبعد عن الإسلام نصًا وروحًا، وإنها أحد الأدلة على أن هؤلاء القوم لا ينحدرون من بيت النبوة[2].

ج: 4. المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل (341 – 365هـ/953 – 975م)[3]:

امتدت أيام المعز إلى ما يقرب من ربع قرن من الزمان، وشهدت كثيرًا من الأحداث، إلا أن ترجمة ابن حماد لم تكن شافية وافية، وهذا أمر تكرر مع من سبقه من الملوك، ومن سيأتون بعده. وكما أضاع المؤلف صفحات كثيرة في وصف معارك المنصور وأبي يزيد الخارجي، فإنه أضاع بضع صفحات وهو ينقل نص كتاب بعث به جوهر الصقلي[4] إلى أهل الريف والصعيد بمصر[5] لما استقر بمصر وصفى له الجو، ولو أبدل ابن حماد بكتاب جوهر شيئًا من أخبار المعز لكان ذلك أولى وأجدى.

وأما عن موت المعز؛ فقد ساق ابن حماد حكاية عجيبة[6] يمجها العقل – تجدها مفصلة عند ابن الأثير في (الكامل في التاريخ)[7] – خلاصتها أن رسول ملك الروم قال للمعز حين وقف بين يديه أنه لما أشرف على القاهرة لم يرَ ذلك النور الذي أغشى على بصره حين قدم عليه في المهدية، وأنه حين دخل مجلسه اليوم لم يجد عنده تلك المهابة التي رآها بالأمس، فعلم أن أمر هذا الملك قد أدبر، فما خرج الرسول من عنده إلا وأخذت المعز حمى شديدة، واتصل مرضه حتى مات!

ج: 5. العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد (365 – 386هـ/975 – 996م)[8]:

---

(1) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 74.

(2) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، هامش (3)، 65.

(3) المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل: كنيته أبو تميم، مولود بالمهدية سنة 319هـ/931م، وأمه أم ولد. وُلّي الأمر عقب وفاة أبيه المنصور وله اثنان وعشرون سنة، فدبّر الأمور وأساسها وأجراها على أحسن أحكامها. وفي عهد المعز انبسطت كلمة العبيديين على أكثر بلاد المغرب، وهزم الخارجين عليه. وفي سنة 358ه/969م دخل قائد جيوشه جوهر الصقلي مصر فأخذها دون عناء، وأخضع الشام والحجاز. واستناب المعز على المغرب بلكين الصنهاجي، وسار بخزائنه وتوابيت آبائه إلى مصر، فدخل الإسكندرية سنة 362هـ/973م. وثارت عليه قرامطة الأحساء، واستولوا على أكثر الشام، وساروا إلى مصر، فحاربهم جوهر وردهم على أعقابهم. وكان المعز عاقلًا لبيبًا حازمًا، مغرى بالنجوم، ويعمل بأقوال المنجمين، وكان ذا أدب وعلم ومعرفة وكرم. ومات المعز في سنة 365هـ/975م بعد أن عاش ستًا وأربعين سنة، وكانت دولته أربعًا وعشرين سنة، وقام بعده ابنه العزيز بالله. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5: 224 – 228؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 221 – 228؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3901؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1: 93 وما بعدها؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت 874ه/1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1992م)، 4: 74 – 83.

(4) جوهر الصقلي: القائد أبو الحسن جوهر، المعروف بالكاتب، الرومي، من موالي المعز لدين الله العبيدي. سيّره المعز إلى مصر في عساكر عظيمة، فاستولى عليها سنة 358ه/969م، وبنى مدينة القاهرة، وقطع الخطبة للعباسيين، وألزم الخطباء باللون الأبيض، وأذّنوا بحيَّ على خير العمل، وأنفذ عساكره إلى الشام. وأرسل جوهر إلى المعز يدعوه إلى المسير إليه. وكان جوهر حسن السيرة، شجاعًا، عاقلًا أديبًا، نافذ الأمر، عالي الهمة. ومازال جوهر على علو المكانة بمصر إلى أن وافته المنية سنة 381هـ/992م، ولم يبق بها شاعر إلا رثاه وذكر مآثره. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1: 375 – 380؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 1341؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 11: 172 – 173.

(5) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 85 – 88.

(6) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 91

(7) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 338 - 339

(8) العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد: أبو منصور، خامس ملوك بني عبيد، وُلد بالمهدية سنة 344هـ/955م، وأمه أم ولد. وفي أيامه زادت رقعة مملكته، وطاعته حمص وحلي وحماة، وخُطب له بالموصل واليمن والحجاز. وكانت أيامه طيبة، والدنيا في زمانه ساكنة، والخيرات دارّة والأعمال عامرة. وكان العزيز بالله كريمًا شجاعًا صفوحًا، حاقنًا للدماء، فاضلًا أديبًا، بصيرًا بالخيل وجوارح الطير، مُغرى بالصيد. وكانت وفاة العزيز في أواخر رمضان سنة 386هـ/996م وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر، بمدينة بلبيس، وكان قد برز إليها لغزو الروم، فلحقه عدة أمراض، كالنقرس، والحصا، والقولنج، فاتصلت به إلى أن مات. وكانت مدته في الملك بعد أبيه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر. وخلّفَ من الولد: ابنه الحاكم بأمر الله منصور، وابنته سيدة الملك. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 475 – 478؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5: 371 – 376؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1: 236 وما بعدها؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 4: 116 – 129.

لا شك أن ترجمة العزيز – عند مقارنتها بغيرها من تراجم الكتاب – كانت أكثرها احتمالًا، وأقلها أخطاءً.

وإن كانت هناك من مآخذ على صاحب الكتاب، فهي سكوته عن تقريب العزيز لليهود والنصارى، والمنّ عليهم بأعلى المناصب، حتى صارت لهم في البلاد الكلمة الأولى واليد الطولي[1]. وإلى جانب ذلك؛ فقد وقع ابن حماد في ترجمته للعزيز في خطأين لم ينتبه إليهما المحققان: أولهما: وصفه لأبي الفرات الذي بايعه بعد وفاة المعز أنه عم أبيه[2]، والصواب أنه عم جده، وثانيهما: قوله: إن ولاية العزيز كانت خمسا وعشرين سنة وخمسة أشهر[3]، والصواب أنها إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر.

ج: 6. الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار (386 – 411هـ/996 – 1021م)[4]:

تعد ترجمة ابن حماد للحاكم بأمر الله هي الأحسن من بين تراجمه؛ لوقوفه على الحياد منه على الرغم مما يكتنف شخصية الحاكم من غموض شديد، وتركه الزوائد من الأخبار التي لا تفيد. ومما ينبغي ذكره، أن ابن حماد حين جاء على قصة اختفاء الحاكم ومقتله لم يذكر كل، أو معظم، الأقوال التي قيلت في سبب قتله، واكتفى بذكر روايتين هما الأضعف من بين كل الروايات[5].

ووقع ابن حماد، أو من قام بنسخ المخطوط، في خطأ حين أراد الكلام على منع الحاكم بأمر الله أهل مصر من صلاة التراويح، ثم أجازها لهم بعد سنين[6]، ولكن المؤلف عوضًا أن يكتب اسم الحاكم كتب اسم المعز، كما يتبين من النص التالي: "... **وكان في شهر رمضان من سنة 399هـ يمنع الناس من صلاة التراويح... ولم تصل التراويح إلى سنة ثمان وأربعمائة، فخرج المعز في هذه السنة بالأمر فيها وقرّر بالمساجد والجوامع بمصر والقاهرة ومن يصلي فيها، ولم يزالوا يصلون التراويح إلى آخر خلافته**[7]". ومن الطريف أن محققي الكتاب ظنا أن المقصود بالمعز في النص أعلاه هو المعز بن باديس الصنهاجي[8] صاحب إفريقية،

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 475.
(2) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 93.
(3) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 94.
(4) الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار: أبو علي، سادس ملوك بني عبيد. وعُرف الحاكم أنه كان جوادًا، سفاكًا للدماء، قتل عددًا كثيرًا من أعيان دولته وغيرهم. وسيرته من أعجب السير: أمر في صدر أيامه بسب الصحابة، ثم عدل عن ذلك وأدّبَ من يسبهم، ومنع صلاة التراويح ثم عاد فسمح بها، وحرّمَ على النساء الخروج إلى الطرقات ليلًا ونهارًا، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف المنجدة لهن، فأصابتهن مشقة عظيمة جراء ذلك، وأمر بهدم الكنائس، ثم عاد فأمر ببنائها، وغير ذلك من الأمور العجيبة. وقيل: إنه همَّ بادعاء الألوهية، فنهاه كبراء دولته وخوّفوه وثوب الناس به، فتوقف. وخرج ليلة من قصره إلى جبل المقطم، فاستبطأوه، ثم رأوا حماره قد ضربت قوائمه بسيف، ووجدوا ثيابه فيها أثر سكاكين، فعادوا ولم يشكوا في قتله. وكان عمر الحاكم حين قُتل ستًا وثلاثين سنة وتسعة أشهر، وولايته خمس وعشرون سنة، وبويع من بعده ولده أبو الحسن علي، ولقّبوه الظاهر لإعزاز دين الله. الأنطاكي، **تاريخ الأنطاكي**، 256 – 258؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 658 – 661؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3962 – 3965؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 3 وما بعدها؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 4: 177 – 198.
(5) للوقوف على جميع الروايات التي أحاطت بمقتل الحاكم بأمر الله وتحليلها والترجيح فيما بينها، أنظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 4: 187 – 194؛ خليل، محمد محمود، **الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (358 – 567هـ/969 – 1171م)** (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2007م)، 69 – 93.
(6) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 7: 660؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 4: 178.
(7) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 97 – 98.
(8) المعز بن باديس الصنهاجي: بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب. كان ملكًا جليل القدر عالي الهمة، محبًا لأهل العلم، كثير النوال. وهو من قطع الخطبة للعبيديين، وخلع طاعتهم، وخطب للخليفة العباسي، فوجّهَ إليه المستنصر بالله العبيدي (427 – 487هـ/1035 – 1094م) العرب، فخرّبوا إفريقية، وأخذوا أماكن، واستوطنوا تلك الديار. وكان المعز قد بُويع سنة 406هـ/1016م، وعمّرَ دهرًا، وتوفي سنة 454هـ/1062م، وقام بعده ولده تميم بن المعز. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5: 233 – 235؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 3904.

وهذا غير صحيح؛ لأن ابن باديس لم يُحيّي السّنة، ويُميت البدعة، ويوالي العباسيين، ويعادي العبيديين إلا على أيام المستنصر بالله حفيد الحاكم بأمر الله[1].

ج: 7. الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله منصور (411 – 427هـ/1021 – 1036م)[2]:

لم يذكر ابن حماد من الحوادث في عهد الظاهر سوى حدث واحد، والغريب أن هذا الحدث المذكور لم يقع في زمانه، بل في زمان والده الحاكم بأمر الله، وبالتحديد في السنة التي وُلد فيها الظاهر، أو التي تليها![3]. ففي سنة 395هـ/1005م، وقيل: في السنة التالية، خرج على الحاكم بنواحي برقة رجل أندلسي يُقال له: أبو ركوة، زعموا أنه من بني أمية واسمه الوليد بن هشام، فمال إليه خلق عظيم، فجهزّ الحاكم لحربه جيشًا فكسرهم أبو ركوة، ثم تكاثروا عليه وأسروه، وحُمل إلى القاهرة، فشهّر به الحاكم، ثم قتله[4]. فكما ترى، فإن الثائر أبا ركوة ليس له أدنى صلة بالظاهر، ولا نعرف كيف وقع ابن حماد في مثل هذا الخطأ الساذج، والأغرب من هذا أن يمرَّ المحققان – على جلالة قدرهما وسعة علمهما – به دون أن يتفطنا إليه ويتوقفا عنده!

ج: 8. المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي (427 – 487هـ/1036 – 1094م)[5]:

حكم المستنصر بالله ستين سنة، وهو أمر لم يتفق لأحد غيره من الملوك في الإسلام. وعلى الرغم من طول مدة ولايته وكثرة الحوادث التي جرت فيها، إلا أن ترجمة ابن حماد له لم تتجاوز أكثر من صفحة! وبغض النظر عن قصور الترجمة وفقرها، فإن المُصنّف وقع في خطأ لم يتنبّه إليه المحققان رحمهما الله. ففي معرض حديثه عن غزو العرب لإفريقية، أو ما يُعرف بالتغريبة الهلالية، ظن ابن حماد أن من أغرى المستنصر بالله العبيدي بتسيير قبائل بني هلال وبني سليم وبقية قبائل العرب من صعيد مصر إلى إفريقية لتأديب المعز بن باديس الصنهاجي - المذكور آنفًا - كان هو الوزير أبا القاسم علي بن أحمد الجرجرائي[6]

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 8: 86 – 90؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 214 – 221؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 52 – 53.
(2) الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله منصور: أبو الحسن، وقيل: أبو هاشم، سابع حكام العبيديين، مصري المولد والمنشأ والوفاة. بُويع وهو صبي بعد مقتل أبيه الحاكم بأمر الله سنة 411هـ/1021م، وقامت عمته ستّ الملك بتدبير مملكته أحسن قيام. وكانت دولته تحكم مصر وأجزاء من الشام والمغرب، وفي عهده انتزع حسان بن مفرج الطائي حلب فتملكها، واستولى صالح بن مرداس الكلابي على أكثر الشام، وتضعضعت قوة العبيديين. وتوفي الظاهر في سنة 427هـ/1036م، وله من العمر اثنتان وثلاثون سنة، ولم تشهد أيامه أحداثًا ذات أثر كبير. ولم يكن الظاهر يدّعي دعاوى والده وجده في معرفة النجوم وغيرها من الأشياء المنكرة، وكان كثير الصدقات، محسنًا إلى الرعية، ولكن كان ينُسب إليه أنه كان غارقًا في اللهو والمسكر والسراري. الذهبي، **أعلام النبلاء**، 2862؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 22: 148 – 149؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 124، 182 – 183؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 4: 427 – 428.
(3) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 103.
(4) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 60 – 66؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 4: 180؛ طقوش، **تاريخ الفاطميين**، 302 – 306..
(5) المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله علي: أبو تميم، ثامن ملوك العبيديين، بُويع بالولاية بعد وفاة أبيه الظاهر لإعزاز دين الله سنة 427هـ/1036م، وله وقتها من العمر سبع سنين، وأقام المستنصر في الأمر ستين سنة، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس. وكان الأمر والتدبير بيد وزيره الجرجرائي، ثم تغلبت أمه على شؤون الدولة، فكانت تولّي وتعزل من تشاء من الوزراء. وفي أيامه خطب أبو الحارث أرسلان البساسيري التركي الثائر على خلافة بني العباس للمستنصر ببغداد مدة سنة، وخرج عن طاعته المعز بن باديس أمير إفريقية وقطع الخطبة للمستنصر. وحدث الغلاء الشديد بمصر الذي لم يُعهد مثله، أو ما عُرف باسم الشدة المستنصرية، ودام الجوع سبع سنين، حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، وبيع رغيف الخبز بخمسين دينارًا. وكان المستنصر كالمحجور عليه في وزارة بدر الجمالي وابنه الأفضل. وقام بعده ابنه المستعلي أحمد، أقامه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 5: 229 – 231؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 184، 332 – 334؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 3 – 23؛ الزركلي، **الإعلام**، 7: 266.
(6) أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي: الوزير الكامل، نجيب الدولة، من دهاة الوزراء وعظمائهم. خدم الحاكم بأمر الله، فغضب عليه، فقطع يديه من مرفقيه، ثم رضي عنه، فولّاه ديوان النفقات، ثم قلّده الوزارة. واستمر وزيرًا للظاهر طيلة مدة حكمه، ثم لابنه المستنصر إلى أن مات سنة 436هـ/1045م. الذهبي، **أعلام النبلاء**، 2722.

وليس الوزير الحسن بن علي اليازوري[1]، وهذا ليس بشيء[2]؛ لأن الوزير الجرجرائي كان قد تُوفي في سنة 436هـ/1045م، أي قبل أن يشق المعز عصا الطاعة على العبيديين.

ففي سنة 440هـ/1048م[3] أمر المعز بن باديس بلعن العبيديين على المنابر، فصعد الخطيب في صبيحة يوم عيد الأضحى المنبر ودعا عليهم، فكان مما قال: "**اللهم! العن الفسقة الكبار، المارقين الفجّار، أعداء الدين، أنصار الشيطان، المخالفين لأمرك، والناقضين لعهدك، المتبعين غير سبيلك، المبدلين لكتابك!**..."[4]. وزاد على ذلك بأن دعا المعز للخليفة العباسي ببغداد، وكسا القضاة والفقهاء والخطباء والمؤذنين السواد لون العباسيين، وأحرق بنود ورايات الدولة العبيدية، وأزال أسماء خلفائهم من الدنانير والدراهم، وقطع كل حبال الوصل التي بينه وبينهم[5].

ولما كاشف المعز بن باديس العبيديين العداوة، كان من رأي الوزير الداهية اليازوري أن يرميه بقبائل بني هلال وغيرها التي كانت تملأ وجه الصعيد؛ فيأمن بذلك من شرورهم، ويحفظ أموال الدولة ورجالها، ويردَّ الصاع إلى ابن باديس صاعين، فاستحسن المستنصر بالله رأي وزيره وعمل به. ولما بدأت جموع العرب في الزحف إلى إفريقية، أرسل اليازوري إلى المعز يُطلعه على ما ينتظره من الأهوال، فقال: "**أما بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً، وحملنا عليها رجالاً كهولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**[6]".

ج: 9. المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله معد (487 – 495هـ/1094 – 1101م)[7]:

لم تتجاوز ترجمة ابن حماد للمستعلي أكثر من سطرين ونصف[8]! وكل ما قاله المؤلف عن المستعلي أن اسمه أحمد، وأن نقش خاتمه الحمد لله على آلائه[9]. فهل يُعقل أن مصادر ابن حماد المكتوبة والشفهية لم تسعفه بأكثر من الاسم ونقش الخاتم؟! لا أحد ينكر أن المستعلي كان مكفوف اليد، مردود القول، وأن وزيره وخاله الأفضل بن بدر الجمالي[10] كان هو المنفرد بالأمر،

(1) الحسن بن علي اليازوري: أبو محمد اليازوري؛ نسبةً إلى يازور إحدى قرى الرملة بفلسطين. اتصل بالمستنصر بالله العبيدي، فولّاه الوزارة، وجعله قاضي القضاة، ولقّبه بسيد الوزراء. واليازوري هو من دبّرَ فتنة البساسيري التي كادت أن تقضي على الخلافة العباسية. واستمر اليازوري في الوزارة إلى أن قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله سنة 450هـ/1058م. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 236 – 239؛ الزركلي، **الإعلام**، 2: 202؛ طقوش، **تاريخ الفاطميين**، 379 – 380.

(2) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 104.

(3) هناك اختلاف واضح بين المؤرخين حول السنة التي أظهر فيها المعزّ بن باديس عداوته للعبيديين وأمر فيها بلعنهم على المنابر؛ فالمشهور أنها سنة 440ه/1048م، ولكنها عند ابن خلدون سنة 437هـ/1046م، وعند المقريزي سنة 443هـ/1052م. ابن الأثير، **الكامل**، 9: 564؛ ابن خلدون، **العبر**، 2: 1783؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 214

(4) ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 277.

(5) ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 278 – 280؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 2: 216.

(6) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: 565.

(7) المستعلي بالله أحمد بن المستنصر بالله معد: أبو القاسم، تاسع ملوك العبيديين، ولي الأمر بعد وفاة أبيه المستنصر بتدبير من خاله الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، وبقي في الحكم صورة بلا معنى، واسمًا بلا رسم، وكانت وفاته في سنة 495هـ/1101م، وله من العمر سبع وعشرون سنة، ومدة ملكه سبع سنين، وآل الأمر بعده إلى ابنه الآمر بأحكام الله. وفي أيامه اختل حال الدولة، وضعف أمرها، وخرج معظم الشام من يدها. وفي أول أيامه، خرج أخوه الأكبر نزار إلى الإسكندرية، وطالب بالإمامة؛ لأنه أكبر أبناء المستنصر، فلم يتم له الأمر، وقبض عليه الوزير الأفضل وقتله، وهو ما أدى إلى انقسام الدعوة الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية. وكان المستعلي حسن السيرة، إلا أنه كان متقاعدًا عن الجهاد، متغاليًا في الرفض والتشيع. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 8: 119؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 140 – 153.

(8) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 105.

(9) جاء عند المقريزي أن نقش خاتمه هو: الإمام المستعلي بالله. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 27.

(10) الوزير الأفضل بن بدر الجمالي: أمير الجيوش، أبو القاسم، شاهنشاه، بن أمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني. ولي مملكة مصر بعد وفاة أبيه بدر، فسار بسيرته في الحجر على ملوك العبيديين، فضيّق على المستنصر بالله، ثم أقام المستعلي بالله - ولد المستنصر – في الملك، وبقي الأمر والنهي بيده. ولما مات المستعلي، نصّبَ ولده الآمر مكانه، وكان صبيًا في الخامسة من العمر، وضيّقَ عليه، ومنعه من شهواته، واحتال في

والمستبد بالتدبير، ولكن لا يعني أن يسكت ابن حماد عن الكيفية التي جلس بها المستعلي على كرسي الملك، وهو ما أفضى إلى انقسام الدعوة الإسماعيلية[1] إلى فريقين: مستعلية يتبعون المستعلي أحمد، ونزارية يتبعون أخاه الأكبر والأحق بالإمامة، كما تزعم الإسماعيلية، ولا أن يسكت عن تخاذل العبيدية عن الوقوف في وجه الصليبيين الذين أخذوا معظم الشام[2].

ج: 10. الآمر بأحكام الله المنصور بن المستعلي بالله أحمد (495 – 524هـ/1101 – 1130م)[3]:

لم يجد ابن حماد - فيما تحت يده من المصادر - أي خبر عن الآمر بأحكام الله سوى الكيفية التي قُتل بها، لدرجة أنه لا يعرف شيئًا عن ولادته، واسمه، وصفاته، ووزرائه، وأخبار بلاده[4]! وعلى الرغم من أننا لا نعرف مصادره المكتوبة التي ارتكز عليه، إلا أنها على ما يبدو غير كافية بالمرة؛ لذا نجده يلجأ إلى المصادر الشفهية التي لا تخلو بدورها من القصور. فمن المعلوم أن مدة ملك الآمر بأحكام الله قاربت الثلاثين سنة، وشهدت جملة من الحوادث الكبيرة في الداخل والخارج، ولا يُعقل ألا يجد ابن حماد من المصادر ما يخدمه في الترجمة الآمر وغيره من ملوك العبيدية!

ج: 11. الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله (524 – 544هـ/1130 – 1149م)[5]:

قتله بالسم، فحمل ذلك الآمر على قتله بأن دسَّ عليه جماعة من الباطنية النزارية، فقتلوه وهو في موكبه في سلخ شهر رمضان سنة 515هـ/1121م. وكانت وزارة الأفضل ثمانيًا وعشرين سنة، وكان حسن السيرة، وخلّف وراءه أموالًا عظيمة. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 60 – 74؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 216 – 217.

(1) الإسماعيلية: الإسماعيلية: نسبة إلى إمامهم إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (أكبر أبناء الصادق سادس الأئمة الاثني عشرية). والإسماعيلية انشقت عن حركة التشيع الإمامي منذ سنة 148هـ/765م، ومن ألقابهم: السبعية، أو المباركية، أو الباطنية، أو الملاحدة، أو التعليمية. ولقد اتخذ أوائل أئمتهم من بلدة سلمية بالقرب من حماة السورية موئلاً لهم ومقراً لدعوتهم، وأشهر دعاتهم: ميمون القداح، وهو واضع أسس معتقدهم، ويقال إنه: فارسي مجوسي، أو يهودي، كان يروم هدم الإسلام ببدعته. أنظر: الشهرستاني، تاج الدين أبا الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1435هـ/2014م)، 1: 155 – 162؛ القفاري، ناصر وناصر العقل، **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة** (الرياض: دار الصميعي، 1413هـ/1992م)، 126 – 133؛ رستم، سعد، **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات**، ط 8 (دمشق: دار الأوائل، 2010م)، 281 وما بعدها.

(2) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن أحوال الدولة العبيدية في زمن المستعلي، أنظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 11 – 13؛ 27 – 28؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 140 – 153.

(3) الآمر بأحكام الله المنصور بن المستعلي بالله أحمد: أبو علي، عاشر ملوك العبيديين، وُلد بالقاهرة سنة 490هـ/1096م، وبُويع بعد وفاة أبيه وعمره خمسة أعوام، وقام وزيره الأفضل بن بدر الجمالي بشؤون الدولة. وفي أيامه استفحل شر الصليبيين، وأخذوا معظم مدنه. ولما كبر الآمر ضاق ذرعًا بالأفضل، فدسَّ إليه جماعة من الباطنية النزارية فقتلوه غيلة سنة 515هـ/1121م، وأقام مكانه المأمون أبا عبدالله محمد بن فاتك البطائحي، فثقلت وطأته على الآمر، فقبض عليه واستصفى أمواله، ثم قتله سنة 522هـ/1128م، ومعه خمسة من إخوته. وكان الآمر ظالمًا جبارًا، سفاكًا للدماء، مؤثرًا للشهوات، مرتكبًا للمحظورات. ودام ملك الآمر أكثر من تسع وعشرين سنة، وكان هلاكه في سنة 524هـ/1130م على يد جماعة من الباطنية النزارية خارج قصره، ولا عقب له. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 31، 128 – 133؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 168 – 183؛ الزركلي، **الإعلام**، 7: 297.

(4) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 105.

(5) الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله: أبو الميمون عبد المجيد، الحادي عشر من ملوك العبيديين، وُلد بعسقلان من أرض الشام، وبُويع بالأمر بعد مقتل ابن عمه الآمر بأحكام الله إلى أن يتبين ما إذا كان الآمر ولد. وأخرج الجند أبا علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي من سجنه، وقدّموه عليهم، فأتى إلى القصر، وأمر ونهى، وعدل في الرعية، وردَّ الأموال المنهوبة إلى أصحابها، وتعصب للشيعة الإمامية، أي: الاثني عشرية، والحافظ لا حول له ولا قوة. ثم أن الحافظ دسَّ على أبي علي من قتله بظاهر القاهرة سنة 526هـ/1131م، فأطاعه الجند، وجدّدوا بيعته، واستقل بالملك. وكان الحافظ ما أن يُقيم وزيرًا حتى يتسلط عليه ويستبد بالأمر، فيتألم الحافظ، ويحتال عليه ليقتله، وهذا ما فعله بثلاثة وزراء من بعد أبي علي المذكور، وأحدهم كان ولد الحافظ نفسه واسمه الحسن. وفي سنة 544هـ/1149م توفي الحافظ عن عمر يناهز السابعة والسبعين بعد أن أمضى نحو عشرين سنة حاكمًا للعبيديين، وأدلى الأمر من بعده إلى ولده الظافر. الذهبي، **أعلام النبلاء**، 2561؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 137 – 140، 189 – 192؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 231 – 240.

على غرار ترجمته الآمر بأحكام الله، لم يجد ابن حماد أي خبر عن الحافظ لدين الله سوى رواية شفهية تحدثت عن توليه الحكم[1]، وهذا ما يجعل المرء يسأل: لماذا أشغل ابن حماد نفسه من الأصل بأخبار بني عبيد وهو لا يملك مادة كافية تؤهله لوضع كتاب عنهم؟! ففي ولاية الحافظ – دامت نحو عشرين سنة – تعرّضت الدعوة الإسماعيلية إلى انقسام جديد، فصاروا طائفتين: إما "حافظية"؛ نسبةً إلى الحافظ لدين الله، وإما "طيبية"؛ نسبةً إلى المولود المزعوم الآمر بأحكام الله. إضافة إلى ذلك؛ فقد عانى الحافظ الأمرين من وزرائه، فكان لا يولي أحدًا منهم إلا ويستخف به ويحجر عليه؛ مما يدفعه في كل مرة إلى الاحتيال عليه وقتله والخلاص من شره، وهذا ما حصل مع أربعة من وزرائه، أحدهم كان ابنه[2]! ألا يبدو أنه من غير معقول ألا يجد ابن حماد ما هو أكثر من هذه الرواية الشفهية وهو الذي وُلد بعد وفاة الحافظ بأربع سنين؟!

ج: 12. الظافر بأمر الله إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد (544 – 549هـ/1149 – 1154م)[3]:

اكتفى ابن حماد برواية شفهية تناولت آخر أيام الظافر بأمر الله وما جرى عقب قتله من أحداث[4]. والقصة لا بأس بها، ولكن سقطت منها بعض التفاصيل، وغابت عنها بعض الشخصيات، وهو ما يجّرنا إلى إعادة روايتها مختصرة، كما جاءت في المصادر المعتبرة. فمن المعلوم أن الظافر وكان في شرخ الشباب يتعشّق ابن وزيره ناصر الدولة نصر بن عباس الصنهاجي وهو من أجمل الناس صورة. وكان مؤيد الدولة أسامة بن منقذ[5] صديقًا للوزير عباس[6]، فقال له يومًا: " **كيف تصبر على ما يقول الناس في حق ولدك واتهامهم الخليفة أنه يفعل به ما يفعل بالنساء؟!**". فشقَّ ذلك على عباس، ولام ابنه، فلم يُصغ إلى لومه. وجاء نصر يومًا إلى أبيه؛ ليعلمه أن الظافر أنعم عليه بإقطاع وأسامة حاضر ويسمع، فقال: "**ما هي بمهرك غالية**". فتألم عباس وأنِف

(1) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 106.

(2) المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 139 – 145، 153 – 154؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 242، 272؛ وجيه، الفريد، الدولة **الفاطمية ما لها وما عليها** (القاهرة: دار نبتة، 2018م)، 155؛ فؤاد، أيمن سيد، **الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد** (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2007م)، 249 – 253.

(3) الظافر بأمر الله إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد: ولي الأمر بعد أبيه خمسة أعوام، وكان عمره حين تملك سبع عشرة سنة وبضعة أشهر، ولم يكن الظافر أصغر إخوته، وإنما تولاها بوصية من أبيه، وترتيبه الثاني عشر من ملوك العبيديين. وكان فتى جميلًا وسيمًا لعابًا عاكفًا على الأغاني والسراري. وفي أيامه أخذ الفرنجة عسقلان، فانقطعت دعوة العبيديين من سائر الشام والمغرب والحرمين فلم يبق لهم غير مصر. ومال الظافر إلى ابن وزيره نصر بن عباس وأحبه، وكان فتى مليحًا، فاتفق نصر مع أبيه عباس على قتل الظافر بعد أن شاع بين الناس أن الظافر يفعل بنصر ما يفعله بالنساء، فدعاه إلى داره، ثم شدَّ عليه فقتله، وطمره في داره. وكان عمر الظافر حين قُتل اثنتين وعشرين سنة. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: الذهبي، **أعلام النبلاء**، 1113؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 193، 208 – 210؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 278 – 283.

(4) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 106 – 107.

(5) أسامة بن منقذ: مؤيد الدولة، مجد الدين، أبو المظفر، أسامة بن مرشد بن علي الكناني الشيزري، ومنقذ هو جده الرابع. وُلد بقلعة شيزر، بالقرب من حلب، وهو من كبار أمرائها وشعرائهم وشجعانهم. سمع منه ابن عساكر وأبو سعد السمعاني وجماعة، وحضر حروبًا كثيرة، جمعها في كتاب سمّاه (الاعتبار)، وله مصنّفات في الشعر والأدب. ودخل ابن منقذ مصر، وجرت له أمور، وكان إماميًا، أي: من الشيعة الاثني عشرية. عاش ابن منقذ سبعًا وتسعين سنة، ومات في دمشق سنة 584هـ/1188م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1: 195 – 199؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 1053.

(6) الوزير عباس: بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي: قدم إلى القاهرة هو وأمه من المغرب، فتزوّج وزير الظافر بأمر الله العادل بن سلار أم عباس. ورُزق عباس ولدًا اسمه نصر، فتربّى في دار العادل عند جدته، وكان العادل يحنو عليه. ولم يحفظ عباس ولا ولده الفضل للوزير العادل، فقتل نصر العادل على فراشه بتحريض من أبيه عباس، واستلم الوزارة للظافر. ثم إن عباسًا أغرى ولده بقتل الظافر بعد أن شاع كلام عن ميل الظافر لنصر، وكان الأخير جميلًا حسن الصورة. واستبدَّ عباس بالوزارة، وأقام ولد الظافر في مكان أبيه ولقّبه الفائز، ثم إن عباسًا فرَّ من القاهرة بعد أن قدم طلائع بن رزيك إلى الشام، فظفر به الصليبيون، وقتلوه، واستولوا على ما معه من أموال، وبعثوا ولده نصر إلى القاهرة، فقُتل فيها قتلة شنيعة. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 16: 369 – 370.

من هذه الحال، وقال لأسامة: **"كيف الحيلة في الخلاص مما بُلينا به؟"**، فهوّن عليه الأمر، وقال له إن الخليفة يأتي في كل مرة إلى دار ابنه متخفيًا، فمُرْه إذا جاء عنده أن يقتله. ودخل الظافر في عدة يسيرة من خدمه دار نصر، فوثب نصر وجماعة كانوا عنده على الظافر ومن معه فقتلوهم، ثم رموا جثثهم في جب، وغطوا رأس الجب بقطعة رخام بيضاء، فصار من جملة رخام المجلس[1].

فلما كان من اليوم التالي، ذهب الوزير عباس إلى قصر الظافر؛ متظاهرًا برغبته في لقائه وهو يعلم ما جرى له ليلة الأمس، فأنكر أخواه: جبريل ويوسف وابن عم لهما وجوده بالقصر، وأنه خرج البارحة إلى دار ابن الوزير ولم يرجع، فاتهمهما بقتله حسدًا له، ثم أمر غلمانه بقتل الثلاثة، فقتلوهم شر قتلة. وجاء عباس بولد الظافر أبي القاسم عيسى، يحمله على كتفه، وكان له من العمر خمسة أعوام، وأخذ البيعة له، ولُقّب بالفائز.

وظن عباس أن الأمر استقام له، فجاء خلاف ما أمل، وأخذ أهل القصر في إعمال الحيلة عليه، وكان الأمراء والسودان قد نافروه واستوحشوا منه على فعلته بأولاد الحافظ، وأضمروا له العداوة والبغضاء. وأرسلت عمة الفائز إلى عاملهم على الصعيد أبي الغارات طلائع بن رزيك[2] الكتب وفي طياتها شعور النساء تستصرخ به على عباس، فامتعض لذلك ابن رزيك، فأقبل في جموع من العربان إلى القاهرة، فاضطرب عباس وتفرّق عنه الناس، فأخذ ما قدر على حمله من الأموال، وفرَّ بأهله وخواصه ومعه ابن منقذ. وشقَّ ابن رزيك شوارع القاهرة وقد لبس السواد، وأعلامه وبنوده كلها سوداء، وشعور النساء على رؤوس الرماح. وجيء له بأحد الخدم الذين سلموا من القتل في دار نصر، فدلّهم على الجب، فاستخرجوا الظافر ومن معه، ووُضع في تابوت، ومشى ابن رزيك حافيًا وقد شقَّ ثيابه ومعه الناس بأجمعهم، ثم صلّوا عليه، ودفنوه في تربة القصر مع آبائه.

وأرسلت أخت الظافر الكتب إلى الفرنجة بعسقلان؛ تعلمهم الحال، وتبذل لهم الأموال في الخروج إلى عباس، وأباحتهم جميع ما معه، وأن يبعثوا به إلى القاهرة. وخرج الفرنجة إلى عباس، فثبت لهم، وخذله أصحابه وفرّوا مع ابن منقذ إلى الشام، وقاتلهم عباس حتى قُتل غير مأسوف عليه، وحُمل ولده نصر في قفص من حديد إلى القاهرة، فقطعوا يده اليمنى، وانهال الجواري عليه يصفعنه بنعالهن، وقرضوا لحمه بالمقاريض، واشتروه وأطعموه إياه حتى هلك، ثم صلبوه على باب زويلة، وأُحرق بعد ذلك[3]، وتلك عاقبة الظالمين!

(1) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: 212 - 213؛ ابن خلدون، **العبر**، 1: 1102 – 1103؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 208 – 209؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 297.

(2) طلائع بن رزيك: الملك الصالح، أبو الغارات، وزير بني عبيد، الأرمني الأصل، المصري الإقامة، الشيعي الإمامي المذهب. كان واليًا على صعيد مصر، ولما قُتل الظافر سيّر أهل القصر إليه يستصرخونه، فحشر فنادى وأقبل في جمع عظيم، فملك البلاد من غير ضربة ولا طعنة، وصار إليه تدبير أمر الفائز بن الظافر. وكان الملك الصالح أديبًا فاضلًا، وله ديوان شعر، وكتاب يدافع فيه عن مذهب الإمامية. ولما مات الفائز صار وزيرًا لخلفه العاضد، وزوّجه ابنته، وغلب عليه، فكره العاضد ذلك وضاق به، فخامر جماعة على قتله، وقيل: بل عمته من دبرت على قتله، فكمنوا له وقتلوه، وذلك سنة 556هـ/1161م. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 16: 288 – 290؛ ابن خلدون، **العبر**، 1: 1103؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 246 – 253.

(3) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 9: 213 – 214؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 213 – 221؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 295 – 298.

ج: 13. الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر بأمر الله إسماعيل (549 – 555هـ/1154 – 1160م)[1]:

قال ابن حماد: "**هو كما تقدم ابن الظافر ولم أجد له خبرًا ولا عرفت له اسمًا**[2]". فكما ترى، فهذه أقصر ترجمة، وليس فيها شيء سوى أنه ولد الظافر! وعلى أي حال، فإن سنوات ملك الفائز ليس فيها ما يُحكى؛ فالطفل جاء به الوزير عباس وهو يحمله على كتفه إلى قاعة فيها جثث تسبح في بركة من الدم، ثم سمع الأمراء وهم يصيحون بصوت واحد تكاد تتزلزل له جدران القصر: "**سمعنا وأطعنا**"، فداخله من منظر الدماء وصيحة الأمراء فزع واضطراب، ما خبل عقله، فبال على كتف الوزير، وأقام مختلًا ما بقي من سنوات ملكه الست إلى أن مات المسكين[3]! وكان الوزير طلائع بن رزيك – المذكور آنفًا - الغالب على الفائز، وهو وحده من يأخذ ويعطي، ويقرّب ويبعد إلى أن ضاق به العاضد لدين الله – آخر ملوك بني عبيد – فقتله، كما سيأتي معنا في الترجمة الأخيرة.

ج: 14. العاضد لدين الله عبدالله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله (555 – 567هـ/1160 – 1171م)[4]:

على جري العادة، لم تسلم ترجمة العاضد من النقص والخطأ[5]. فإذا جئنا إلى نسب العاضد، وجدنا ابن حماد ينسبه إلى الظافر بأمر الله – المذكور آنفاً – وهذا خطأ شنيع؛ فالظافر هو عمه، وأما أبوه فاسمه يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد، وهو كان من الذين قُتلوا ظلمًا بيد الوزير عباس الصنهاجي، كما جاء معنا[6]. وأما قوله إن وزير العاضد كان يُدعى سابور، فهذا وهم من ابن حماد كذلك، والصواب أن اسمه شاور[7]،

(1) الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر بأمر الله إسماعيل: يُكنى بأبي القاسم، بُويع بالولاية بعد مقتل أبيه الظافر، وكان له من العمر خمسة أعوام، وقيل: عامان، والقول الأول أرجح. ويُقال إن الصغير عيسى لما صاح الأمراء صيحة عظيمة بصوت واحد: سمعنا وأطعنا، مع ما شاهده من دماء القتلى فزع فزعًا شديدًا، وبال على كتف الوزير عباس، واختل عقله من حينئذ، وصار يُصرع، وجدته تكفله. وتُوفي الفائز سنة 555هـ/1160م، وكان عمره إحدى عشرة سنة ونصف، ولم يلتذ بالمُلك ولا رأى فيه خيرا، وبُويع العاضد لدين الله ابن عم الفائز. الذهبي، **أعلام النبلاء**، 2985؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 213 – 239.

(2) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 108.

(3) أنظر ترجمته في: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 213 – 239؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 294 – 304.

(4) العاضد لدين الله عبدالله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله: أبو محمد، خاتم الدولة العبيدية، وُلد نحو سنة 546هـ/1151م، وبُويع وله تسع سنين ونصف، وقيل: إحدى عشرة سنة. وكان العاضد محجورًا عليه، والحل والربط في يد الوزير طلائع بن رزيك. وضاق العاضد بطلائع، فخامر جماعة على قتل الوزير، فكمنوا له في القصر، فلما مرَّ بهم وثبوا عليه وجرحوه جراحات كثيرة، فحُمل إلى داره وفيه بقية رمق، فما أمسى. وقيل: إن عمة العاضد هي من سعت في قتله. ووزر للعاضد العادل رزيك بعد مقتل أبيه طلائع، فلم تطل أيامه وقُتل هو الآخر، ثم تولى شاور الوزارة للعاضد، ففنس عليه كبير الأمراء ضرغام، فاستنجد شاور بنور الدين زنكي، فأمده بجيش يقوده أسد الدين شيركوه وابن أخيه يوسف صلاح الدين الأيوبي، وجرت أمور يطول شرحها، ثم صفت الوزارة لصلاح الدين، وتمكن في المملكة، وألمَّ المرض بالعاضد ومات في عاشوراء سنة 567هـ/1171م، وله من العمر إحدى وعشرون سنة. وبموت العاضد انطوت آخر صفحة في عمر دولة بني عبيد وعُفيت آثارها. الذهبي، **أعلام النبلاء**، 2552 – 2554؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 243 – 244، 324 - 330؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 5: 319 – 325.

(5) ابن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد**، 108 – 110.

(6) لمزيد من التوضيح، ارجع إلى ترجمة الظافر بأمر الله.

(7) شاور: أبو شجاع، شاور بن مجير السعدي الهوازني: كان شهمًا شجاعًا فارسًا سائسًا. وكان واليًا على الصعيد من قبل طلائع بن رزيك. ولما قُتل ابن رزيك، ثار شاور، وقصد القاهرة، فدخلها وقتل العادل رزيك بن طلائع، واستولى على الوزارة. ثم ضعف أمره، فاستنجد بنور الدين محمود زنكي، فأمده بأسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، فأعاد إليه وزارته. وخاف شاور جند الشام، فكتب إلى الصليبيين يستنفرهم ويُمنّيهم، وظهرت منه قبائح، فلم يتمّ الله أمره، وقُتل سنة 564هـ/1169م. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2: 439 – 443؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 1965.

وهو من جاء بجيش من الشام إلى مصر يقوده أسد الدين شيركوه[1] وابن أخيه صلاح الدين يوسف الأيوبي إلى مصر ليتقوّى به على عدوه أبي الأشبال ضرغام[2]. فلما تمَّ أمره وخلصت له الوزارة، واطأ الصليبيين للقضاء على من ساعدوه، فخيّب الله مسعاه، وباء بسوء العاقبة، وآلت الوزارة إلى أسد الدين شيركوه، فلم يُمتع بها سوى شهرين، ثم قام في الأمر صلاح الدين، فأزال ما بقي من رسوم دولة بني عبيد[3].

3. الخاتمة:

تناولت الدراسة كتاب (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) لابن حماد الصنهاجي، وقد انتهت إلى جملة من النتائج، وهذا أهم ما فيها:

- أوضحت الدراسة أن الكتاب - على مكانته التاريخية – لا يشتمل على ما يروي الغليل ويشفي العليل من أخبار بني عبيد.
- تبين لنا من خلال استعراض أخبار العبيديين أن المصادر – المكتوبة والشفهية – التي اعتمد عليها مُصنّف الكتاب لم تكن كافية بالمرة لرصد أخبار ملوكهم.
- لم يسلم الكتاب - في كل تراجمه – من وجود أخطاء تاريخية؛ مما يضعف الاعتماد عليه من قبل الباحثين الأكاديميين أو القراء المهتمين.
- ركن المُصنّف إلى مصادر شفهية فقيرة للغاية في كتابة أخبار ملوك الدولة العبيدية في مصر.
- أظهرت الدراسة أن مُصنّف الكتاب كان معاصرًا للدولة العبيدية قبل زوالها، إلا أنه لم يجمع ما يكفي من أخبار عنها، وهذا أمر يُعاب عليه ولا يُقبل منه.
- لم يراعِ المُصنّف التوازن بين تراجم العبيديين من حيث الحجم، فكان بعض تراجمه يزيد على العشرين صفحة، والبعض الآخر لا يتجاوز سطرًا واحدًا، وهذا خلل منهجي شنيع.
- على الرغم من أن المُصنّف لم يفصح عن موقفه تجاه الدولة العبيدية بصريح العبارة، إلا أن هذا لا يمنعنا من القول إنه يميل إليها، فتجده يؤكد نسبهم إلى بيت النبوة دون دليل، ولا يذكر شيئًا من مثالب ملوكها وقبائحهم، ويُشنّع بخصومها، كأبي يزيد الخارجي.
- كشفت الدراسة أن المحققين - على جهودهما الطيبة في تحقيق الكتاب – لم يتفطنا إلى وقوع ابن حماد في جملة من الأخطاء التاريخية، وهو ما حرصنا على التنبيه إليه في كل تراجم الكتاب.

(1) أسد الدين شيركوه: الملك المنصور، أبو الحارث، ابن شاذي بن مروان الكردي: عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن الأبطال المذكورين، والشجعان الموصوفين. دخل أسد الدين مصر ومعه ابن أخيه صلاح الدين على رأس جيش سيّره السلطان نور الدين محمود زنكي؛ نجدةً لوزير البلاد شاور، فثبّتوه في الوزارة، ولكنه انقلب عليهم وواطأ الصليبيين ليخرجهم من مصر، وجرت أمور طويلة قُتل في آخرها الوزير شاور. وتولى أسد الدين الوزارة، فلم يهنأ بها غير شهرين، ثم مات فجأة في سنة 564هـ/1170م، وتولى مكانه ابن أخيه صلاح الدين. وكان أسد الدين كثير الأكل، شديد المواظبة على اللحوم الغليظة، فأصيب بسببها بعلة الخوانيق فمات في التاريخ المذكور، ولم يخلّف ولدًا سوى ناصر الدين محمد الملقب الملك القاهر. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 2: 479 – 481؛ الذهبي، **أعلام النبلاء**، 2002.

(2) أبو الأشبال ضرغام: بن عامر بن سوار اللخمي المنذري، الملك المنصور، فارس المسلمين: استولى على الوزارة في الدولة العبيدية، فهرب منه شاور إلى نور الدين محمود بالشام مستجيرًا به ومستنجدًا، فأمدّه بجيش، فدخل به مصر، فلم يلبث أن قُتل ضرغام في سنة 559هـ/1164م عند قبر السيدة نفيسة، وطيف برأسه، وبقيت جثته مرمية على الأرض إلى أن أكلتها الكلاب، ثم إنه دُفن وبُني على قبره قبة. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 16: 211.

(3) لتفاصيل أكثر، أنظر: ابن خلدون، **العبر**، 1104 – 1107؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 3: 257 وما بعدها؛ فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر**، 221 – 241؛ وجيه، **الدولة الفاطمية ما لها وما عليها**، 159 – 165.

وبناء على ما تقدم من نتائج، فإن الدراسة توصي القرّاء بما يلي:

- عدم التسرع في قبول كل ما يرد في الكتب من معلومات حتى ولو كانت من كتب التراث المعتبرة.
- الأخذ بالاعتبار أن مصنّفات المؤرخين الأوائل قد يخالطها قد تخالطها الأهواء وتعتورها الأخطاء.
- التحلي بنزعة الشك وتحري الدقة، ولو استدعى الأمر الاستئناس بالمصادر الغابرة والمراجع المعاصرة.

وأخيرًا... فإني أحمد الله عزّ وجل حمدًا كثيرًا الذي هيأ لي دراسة هذا الكتاب وأعانني على إنجازه، وفوق كل ذي علم عليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

4. المصادر والمراجع:

1.4. المصادر:

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي (ت 658هـ/1260م). **المقتضب من كتاب تحفة القادم.** تحقيق: إبراهيم الإبياري. ط 3. القاهرة – بيروت: دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، 1410هـ/1989م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ/1233م). **الكامل في التاريخ.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، 2012م.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت 458هـ/1067م). **تاريخ الأنطاكي المعروف بصِلة تاريخ أوتيخا.** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. طرابلس: جروس برس، 1990م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت 874ه/1470م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.** تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1992م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200م). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.** تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. ط 2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.

ابن حماد، أبو عبدالله محمد بن علي (ت نحو628هـ/1230م). **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم.** تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس. القاهرة: دار الصحوة، 1401هـ/1981م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1229م). **معجم البلدان.** تحقيق: فريد الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الغرناطي (ت 776هـ/1374م). **أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام.** تحقيق: سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ/1406م). **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون.** اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1434هـ/2013م.

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.** تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1397هـ/1977م.

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م). **سير أعلام النبلاء.** رتّبه واعتنى به: حسّان عبد المنان. عمّان - الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م.

الشهرستاني، تاج الدين أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م). **الملل والنحل.** تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1435هـ/2014م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1363م). **الوافي بالوفيات.** تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م.

ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي (ت 613هـ/1216م). **أخبار الدول المنقطعة.** تحقيق: علي عمر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2001م.

عبد الجبار، أبو الحسن بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني (ت 415هـ/1025م). **تثبيت دلائل النبوة.** تحقيق: عبد الكريم عثمان. بيروت: دار العربية، د.ت.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 695ه،/1295م). **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب.** تحقيق: محمد الكتاني وآخرين. بيروت – الدار البيضاء: دار الغرب الإسلامي – دار الثقافة، 1406هـ/1985م.

الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبدالله (ت 714هـ/1315م). **عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية.** تحقيق: عادل نويهض. ط 2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1979م.

الكندي، أبو عمر محمد بن سعد (ت 350هـ/961م). **ولاة مصر**. تحقيق: حسين نصار. بيروت: دار صادر، د. ت.

مجهول. **الاستبصار في عجائب الأمصار**. تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د. ت.

المراكشي، محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت 647هـ/1250م). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب.** تحقيق: محمد سعيد العريان. الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د.ت.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ/1442م). **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.** تحقيق: جمال الدين الشيّال. ط 2. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1416هـ/1996م.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 384هـ/994م). **الفهرست.** تحقيق: أيمن فؤاد سيد. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1430هـ/2009م.

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت 733هـ/1333م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تحقيق: عبد المجيد ترحيني. بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م.

2.4. المراجع:

الخطيب، محمد أحمد. (1406هـ/1986م) **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: عقائدها وحكم الإسلام فيها**. ط 2. عمّان: مكتبة الأقصى.

خليل، محمد محمود. (2007م). **الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (358 – 567هـ/969 – 1171م).** القاهرة: مكتبة مدبولي.

رستم، سعد. (2010م). **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات.** ط 8. دمشق: دار الأوائل.

الزركلي، خير الدين. (2002م). **الإعلام.** ط 15. بيروت: دار العلم للملايين.

السلماني، عبدالله طه. (1435هـ/2014م). **الدويلات الإسلامية في المغرب**. عمّان: دار الفكر.

طقوش، محمد سهيل. (1428هـ/2007م). **تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام.** ط 2. بيروت: دار النفائس.

فؤاد، أيمن سيد. (2007م). **الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد.** القاهرة: مكتبة الأسرة.

القفاري، ناصر وناصر العقل. (1413هـ/1992م) **الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة.** الرياض: دار الصميعي.

وجيه، الفريد. (2018) **الدولة الفاطمية ما لها وما عليها**. القاهرة: دار نبتة.

Doi: https://doi.org/10.52133/ijrsp.v5.53.5